

## التفاعل النصي في الشعر الحديث

## دراسة وصفية تحليلية

د. سالم بن محاد بن علي المعشني<sup>1</sup><sup>1</sup> جامعة ظفار - صلالة - سلطنة عمان

salimalmashani@du.om

تاريخ الاستلام: 2022/11/13 تاريخ القبول: 2023/02/09 تاريخ النشر: 2023/03/09

## ملخص الدراسة :

إذا كانت الرصاصة عدة الجندي في أرض المعركة فإن الكلمة الأمانة عتاد الشاعر الوطني. لقد استعرض البحث كوكبة من الشعراء الثوريين من مختلف أقطار العالم العربي ، توحدت أهدافهم حول القضايا المصرية للأمة ؛ لقد اجتمعوا في الدعوة إلى الانعتاق من براثن التخلف والجهل والتحرر من الظلم والاستبداد ، وبناء مجتمعات حديثة يسودها الرخاء المادي ، والعدالة الاجتماعية ، رافعين أصواتهم بكل شجاعة وجرأة في كشف عوار الظلم ، راسمين خريطة الخروج من المأزق بغية ردم الهوة الحضارية الكبيرة التي تحول بينهم وبين الشعوب التي سبقتهم . ولا يرون سبيل إلى تحقيق هذه الغاية السامية إلا من خلال التصالح بين النظم السياسية والبنى الاجتماعية ، ورفع منسوب الحريات إلى أعلى سقف ممكن .

## Study summary:

If the bullet is the kit of the soldier on the battlefield, then the honest word is the equipment of the patriotic poet. The research reviewed a group of revolutionary poets from different countries of the Arab world, whose goals were united around the fateful issues of the nation. They gathered in calling for liberation from the clutches of backwardness and ignorance, liberation from oppression and tyranny, and building modern

societies in which material prosperity and social justice prevail, raising their voices with all courage and boldness in exposing the faults of injustice, drawing a map to get out of the impasse in order to bridge the great civilizational chasm that stands between them and peoples. that preceded them. They see no way to achieve this lofty goal except through reconciliation between political systems and social structures, and raising the level of freedoms to the highest possible ceiling.

المؤلف المرسل: د. سالم بن محاد بن علي المعشني

الهدف والمنهج :

تقدم هذه الدراسة رؤية تحليلية وصفية لعدة نماذج شعرية لأهم شعراء العالم العربي في العصر الحديث ، متخذة من النص الشعري ضالتها في رصد التفاعلات المختلفة بين هؤلاء الشعراء ، وطرائق التعبير المؤدية إلى غايات مشتركة وأهداف موحدة ؛ حول إدانة التخلف والركود ، والدعوة إلى النهوض مرة أخرى مستلهمين من التاريخ المجيد لماضي الأمة منطلقا جديدا لا من أجل التقليد والاجترار ، ولكن من أجل البناء ولإضافة ، وسد الفجوة الحضارية الكبيرة التي تفصلنا عن الحضارات العالمية التي تقدمت من حولنا ، واللاحق بالركب واستشراف المستقبل الطموح الذي يحمل في طياته آمال التقدم والتجاوز والعبور إلى المكانة المرموقة التي تعكس الوجه المشرق للحضارة العربية الإسلامية ، لتنال مرة أخرى – هذه الأمة - تقدير واحترام الشعوب التي حققت على صعيد البناء الإجتماعي والاقتصادي والسياسي منجزات مادية متقدمة .

المقدمة:

إن هذه الدراسة الموسومة ب ( التفاعل النصي في الشعر الحديث تأتي بمثابة مقارنة " بنية التناص الشعري في القصيدة بوصفها إحدى الأدوات

د. سالم بن محاد بن علي المعشني

الشعرية الهامة في انفتاح القصيدة وإنتاج الدلالة". (1) ولقد تعمدت فيها اختيار الشعراء محل الدراسة من معظم أقطار العالم العربي ومن خلال الترتيب الزمني أو العمري ؛ بحيث لا يتقدم شاعر شاعرا آخر سبقه في مرحلة عمرية ، أو منعطف تاريخي معين. لذلك نجد الجواهري من العراق يتقدم هؤلاء الشعراء، ثم يليه من الجزائر الشاعر مفدي زكريا ، ثم من سوريا عمر أبو ريشة وهكذا . تغنى هؤلاء الشعراء بحب الوطن ، ووجهوا مصابيح النقد من خلال قصائد خالدة إلى مختلف الجيوب المعتمدة في هذا الوطن العربي الكبير. لقد اجتمعوا على هوية واحدة ، وتخذلوا في خندق واحد مستشعرين بحسهم المرهف ، وشعورهم الصادق ، وعاطفتهم الفياضة هموم الوطن والإنسان . وفي جرأة وشجاعة صدحت ألسنتهم بما لا تقوى على مقاومته القل الصلبة ، والجلاميد الصلدة ؛ إنها حرية الكلمة وأمانة المهوبة عندما يضعها المبدع في مكانها الصحيح مبتعدا بها عن التكسب والنفعية ، وحطام المادة الفانية . ومن الناحية الفنية نجد هؤلاء الشعراء - موضع الدراسة - قد كتبوا قصائدهم على نسق القصيدة العمودية ، وكأنها إستراتيجية متعمدة منهم في استمالة الذائقة العربية ، وضمان أكبر قدر من التفاعل ، وبطبيعة الحال نجد - دائما - المتلقي العربي يتفاعل لكل خطاب أدبي يتطرق إلى قضايا المؤرقة ؛ كنيل الحرية والاستقلال، والعدالة الاجتماعية ، وحقوق المرأة ، وعلى الصعيد القومي العربي تحرير فلسطين . كل هذه المطالب المشروعة تناولتها النماذج الشعرية المختارة في هذا البحث بلغة شعرية جريئة لا تهادن الأنظمة الجائرة ، ولا قوى الاستكبار الأخرى ؛ لكنها تدعو إلى الثورة ، وتشير إلى الأخطار المحدقة ، وتدين الظلم ، وتشيد بكل ما من شأنه أن يوحد شتات الأمة الممزقة .

التفاعل النصي في الشعر الحديث- دراسة وصفية تحليلية

يقول الجواهري في قصيدته ( كذب الخائفون ) \*

رمق الأفق طرفه فترامى  
ورأى الحق فوقه فتعامى  
كل يوم للحاكمين كؤوس  
جرعوها الشعوب جاما فجاما  
كذب الخائفون مالمضيم منا  
أي شعب يرضيه ان يستضاما  
إن حفظتم عل الصدور وساما  
فمن الشعب قد أضعتم وساما  
آيتا العرب في ندى وزحام  
طيبوا ذكركم وموتوا كراما  
أنا ذلك الحر العراقي إما..حنَّ

يستنهض العراقُ الشاما (2) \*

.....  
\* محمد مهدي الجواهري ( 1899- 1997 ) شاعر عراقي يُعد من بين أفضل شعراء العرب في العصر الحديث ، لقب بشاعر العرب الأكبر ، وتميزت قصائده بالتزام عمود الشعر التقليدي (يُنظر موقع نت / ويكيبيديا)

لقد أفصح الجواهري في هذا النص عن خطه الفكري والسياسي القومي والمتمثل في دعوة العرب واستنهاضهم من أجل الثورة على الظلم وعدم الرضوخ للضيم والذل . إنه يدين بقوة وبكل جرأة الحاكمين تجلى ذلك في المفارقة الضدية (إن حفظتم عل الصدور وساما  
فمن الشعب قد أضعتم وساما) ، ثم هو يتانص مع عبد الرحيم محمود في بيته الشهير :

د. سالم بن محاد بن علي المعشني

فإما حياة تسر الصديق \ وإما ممات يقيض العدا . ويظهر ذلك جليا في  
الأبيات الثلاث الأخيرة (طيبوا ذكركم وموتوا كراما \ أنا ذلك الحر العراقي  
إما حنّ \ يستهزئ العراقُ الشاما

ونلاحظ في الوقت نفسه أن " الخطاب الموجه للذات السلطوية الحاكمة  
جاء مشوبا بنبوة التحدي ، إذ يتحدث الشاعر ثقافة الاستعلاء نفسها  
التي يمارسها النموذج السلطوي " (3)

كذب الخائفون ماضيم منا

أي شعب يرضيه ان يستضاما

إن حفظتم عل الصدور وساما

فمن الشعب قد أضعتم وساما

إن الجواهري " يوقن بأن منطق الاستعلاء والعنف لا يمكن أن يواجه  
بالضعف أو الاستسلام ، وإنما يتطلب صوتا إنسانيا رافضا ومتجاوزا في  
الآن نفسه لإملاءات السلطة وعولها الشائكة " (4)

ولا يختلف الشاعر الجزائري ( مفدي زكريا ) \* عن سابقه إذا يقول من  
الشعر الوطني :

• مفدي زكريا ( 1908-1977 ) شاعر الثورة الجزائرية ، مؤلف النشيد الوطني " قسما " كتب  
الكثير من القصائد المشحونة بمشاعر الحب لوطنه ، تحدث في قصائده عن الظلم الذي لحق بالجزائريين  
أثناء الاحتلال الفرنسي وحضهم على الثورة وشد على يد المناضلين . وقد لقب بشاعر الثورة الجزائرية .  
تعرض للسجن والتعذيب عدة مرات . وله دواوين شعرية . ( ينظر نت/ ويكيبيديا )

بلادي أحبك فوق الظنون

وأشدو بحبك في كل نادي

عشقت لأجلك كل جميل

وهمت لأجلك في كل وادي

ومن هام فيك أحب الجمال

## التفاعل النصي في الشعر الحديث- دراسة وصفية تحليلية

وإن لأمه الغشم قال: بلادي  
لأجل بلادي عصرت النجوم  
وأترعت كأسي وصغت الشوادي  
وأرسلت شعري يسوق الخطى  
بساح الفدا يوم نادى المنادي  
وأوقفت ركب الزمان طويلاً  
أسأله عن ثمود وعاد  
وعن قصة المجد من عهد نوح  
وهل إرم هي ذات العماد؟  
فاقسم هذا الزمان يميناً  
وقال بلادي دون عناد(5)

واضح من خطاب الشاعر الجزائري مفدي زكريا جنوح العاطفة الجياشة  
لحب الوطن ، وعشقه الجارف له ، وحنينه الذي عصر من أجله النجوم ،  
واستدعائه حتى الأقوام البائدة من أجداده في ( عاد و ثمود ) ثم هو يشرح الزمن  
الذي أقسم أمامه بأن تلك الرموز المكانية والإنسانية المستلثة من التراث العربي  
السحيق ( ثمود / عاد / نوح / إرم ذات العماد ) قد أفصحت عن لسان حالها من  
شفاة الزمن

بقولها :

فاقسم هذا الزمان يميناً

وقال بلادي دون عناد

وعند شعراء الوطن العربي المعاصرين يتجاوز الحس القومي الحس الوطني  
في الداخل ؛ ولا أدل على ذلك من الأبيات التالية للجواهري الذي سبق تقديمه .  
يقول من قصيدة (الجزائر) وهي ملحمة طويلة جدا :

د. سالم بن محاد بن علي المعشني

ردي علقم الموت لا تجزعي  
ولا ترهبي جمرة المصرع  
دعي شفرات سيوف الطغاة  
تطبق منك على المقطع  
فأنشودة المجد ما وقعت  
على غير أوردة قطع.

ديوان الجواهري ، مرجع سابق ، ص : 552

وفي مقطع آخر " يقع الإختيار اللغوي على الإسم (جزائر) الذي يحدث نسقا تقابليا يخلقه حرف النداء المحذوف والذي يؤكد وجود طرفين حدث بينهما تواصل روحي هما الشاعر والبلد المنادي ، وقد أثبت هذا الإختيار البعد السياسي للنص الشعري والذي أكدته التحرك الأفقي للسياق الذي من خلاله قدم الشاعر الدال (جزائر) في جانبها السياسي ضمن إطارها القومي ، ثم أبرز أهميتها كمنطقة صراع ضد المستعمر والمحتل من بعد ذلك "

جزائر يا حدث الغاصبين  
بوركت في الموت من مريع  
ويانبعة الصُّبر الصامدين  
لوتها الرياح ولم تقطع

.....

سلامٌ على حاقد تائر

على لاحب من دم سائر

يخبُّ ويعلم أن الطر

يقَ لابد مفض إلى آخر(6)

وقال عمر أبو ريشة في قصيدة (صلاة) \*:

التفاعل النصي في الشعر الحديث- دراسة وصفية تحليلية

ربّ طوّقت مغانينا  
جمالا وجلالا  
ونثرتَ الخيرَ فيهنَّ  
يمينا وشمالا  
وتجلّيتَ عليهن  
صليبا وهلال !  
ربّ هذي جنة -  
الدنيا عبيرا وظلال  
كيف نمشي في رباها  
الخضر تمها واختيالا  
وجراح الذل نخفيها  
عن العزاحتيالا  
ردّها قفراء أن  
شئتَ وموّجها رمالا  
نحنُ نهواها على الجذب...  
إذا أعطتُ رجالا\*(7)

.....

\* عمر أبوريشة ( 1910- 1990 ) شاعر سوري يعتبر من أهم شعراء العصر الحديث في الوطن العربي ، وهو شاعر دبلوماسي سياسي ، تسلم عدة مناصب سياسية بالإضافة لكونه شاعر عفاً بعقله الراجح ، وقلبه الصافي ، وعاطفته الجياشة للوطن والإنسان والتاريخ السوري العربي. ( ينظر موقع نت / ويكيبيديا )  
يرفض عمر أبوريشة حياة الضيم والذل ، ويعشق القفر والصحراء بمعية الكرامة والرجولة ، وفي القفر والصحراء إطلالة إلى ذلك الماضي المجيد ، وعودة إلى ينباع التراث الزاهي و" في موقف الشاعر من التراث تتضح معالم الثورة ، ومن

د. سالم بن محاد بن علي المعشني

ثم الحداثة " ويستطرد إحسان عباس حتى يصل للقول " إن للماضي حضورا حتميا لاتستطيع أية ثورة أن تنفيه - لأنه أرسخ من الأهرامات وأكثر سموقا واستعصاء على الهدم - وأبرز شاهد على ذلك هو اللغة وغير خاف أن الشاعر الحديث لا يريد أن ينكر اللغة ، وإلا لم يكن شاعرا " (8)

كيف نمشي في رباها

الخضرتها واختيالها

وجراح الذل نخفها

عن العزاحتيالها

ردّها قفراء أن

شئت وموجها رمالا

نحن نهواها على الجذب

إذا أعطت رجالا

والصورة الشعرية في جملة ( جراح الذل ) تشي بالرفض وإدانة المشهد في حاضر الشاعر. ومن الملاحظ أن الغالبية العظمى من الشعراء القوميين في الشعر الحديث يلتزمون في قصائدهم ، ودواوينهم بالنمط التقليدي في الشكل ؛ وقد يكون مرد ذلك إلى مراعاة المتلقي العربي على امتداد الوطن العربي الذي يهتز لرنين القصيدة العمودية ، كونه صاحب نشأة تاريخية يتفاعل مع كل ماهو موقّع ومموسق . ولكن بالمقابل نلاحظ أنه " قد رافق التحول السياسي والتاريخي في حياة الأمة في منتصف القرن الفائت تحول الشاعر العربي عن القصيدة التقليدية في الشكل والمضمون مما يشي بانقلاب فكري على جميع الأصعدة ، ومرد ذلك يعود إلى ارهاصات الحضارة الحديثة " (9)

التفاعل النصي في الشعر الحديث- دراسة وصفية تحليلية

وفي قصيدة نزار قباني ( الدخول إلى هيروشيما ) يقول منها \*:

.....  
\* نزار توفيق قباني ( 1923 - 1998 ) دبلوماسي وشاعر سوري خرج بعد نكسة حزيران 1967م عن نمطية التقليد بوصفه شاعر الحب والمرأة ودخل معترك السياسة وقد ترك خلال نصف قرن قرابة ( 35 ) ديوان شعر.  
( ينظر موقع نت / ويكبيديا )

قلبي يا صديقتي

مدينة مغلقة

يخاف أن يزورها ضوء القمر

يضجر من ثيابه فيها الضجر

أعمدة مكسورة

أرصفة مهجورة

يغمرها الثلج وأوراق الشجر

قبلك يا صغيرتي

جاءت إلى مدينتي

جحافل الفرس وأفواج التتر

وجاءها أكثر من مغامرٍ

ثم انتحر

فحاذري أن تلمسي جدرانها

وحاذري أن تقربي أوثانها

فكل من لامسها

صار حجر

مدينتي

مالك من مدينتي؟

د. سالم بن محاد بن علي المعشني

فليس في ساحاتها

سوى الذباب والحفر

وليس في حياتها

سوى رفيقٍ واحدٍ

هو الضجر

يحتل الضجر والتبرم في قصيدة نزار قباني هذه موقع الصدارة والخاتمة ،  
ويعكس الضجر مدى القلق النفسي والضييق الذي يعيشه الشاعر في مدينته إن  
كانت بيروت أو دمشق أو أية عاصمة عربية أخرى وكأنه بات ينظر إلى مدينته  
بوصفها أو اعتبارها " واقعا مسطحا ينعكس على وجهه تمزق الشاعر أو التوتر  
الوجودي بينه وبين المدينة " غير أنه يضمّر عاطفة تراثية ونزعة ثورية في قلب  
النص من خلال مفارقة ضدية بين اليوم والأمس ؛ فالأمس كان حال مدينته :

قبلك يا صغيرتي

جاءت إلى مدينتي

جحافل الفرس وأفواج التتر

وجاءها أكثر من مغامرٍ

ثم انتحر

أما اليوم فهي :

مدينتي

مالك من مدينتي؟

فليس في ساحاتها

سوى الذباب والحفر

وليس في حياتها

سوى رفيقٍ واحدٍ

## التفاعل النصي في الشعر الحديث- دراسة وصفية تحليلية

هو الضجر (10)

وقد يكون الشاعر السياسي محكوم بقانون التحول ؛ لاسيما والشاعر نزار في شوطه الأخير قد خلع جلباب التغزل بالأنثى وعمد إلى دهاليز السياسة ووثب سريعا إلى قائمة الشعراء القوميين ، وأصبحت قصائده النارية ملهبة لمشاعر الجماهير العربية التواقفة إلى الحرية والاستقلال " وعلى الصعيد الإجتماعي والسياسي والاقتصادي والثقافي هناك تحولات كبيرة في البنى المعرفية حصلت وفق سياق ايديولوجي في نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين . اتسمت بظهور المنتديات الأدبية والحركات السياسية وقيام الثورات المتعاقبة والتطور الهائل الذي أفرزته الثورة الصناعية " (11)

وفي قيام الوحدة بين مصر وسوريا سنة 1963م خرجت نازك الملائكة عن صمتها لتقول من قصيدة الوحدة العربية متفائلة بهذه الوحدة :لأنها ضوء في ليلة ظلماء

تعود مع الوحدة العربية

تعلن الوحدة الكبيرة ضوءا

وسلاما في ليلة ليلاء

أعلنتها أمنية العرب الكبرى

وحلم الأجداد والآباء. (12)

و تتفاءل كذلك بمستقبل العالم العربي حيث تقول:

يافا وحيفا في غد نلتقي

فنحن والضوء على الموعد

تبقى فلسطين لنا نغمة

قدسية على فم المنشد

ونسرنا الشامخ لم ينثن

أمام باب الزمن الموصد

غدا فلسطين لنا كلها

كأن إسرائيل لم توجد (13)

\*نازك الملائكة (1923-2007) شاعرة عراقية من رواد الشعر الحرومن أهم شعراء

العراق والعرب في العصر الحديث : ينظر موقع نت / ويكيبيديا

لقد عرف عن نازك الملائكة نزعتها نحو التجديد ، وهي بلاشك رائدة من رواد قصيدة التفعيلة أو مايسمى بالشعر الحر ، لكنها لم تخرج على طقوس القصيدة العربية العمودية في جانبها الشكلي ، أو بتعبير آخر لم تجاف بحور الخليل ، بقدرما نوعت في القصيدة الواحدة بين القوافي ، وعندما تلامس موضوعا قوميا كالنماذج السابقة محط الدراسة غالبا تأتي القصيدة دفعة واحدة موحدة القافية ؛ وكأنها لاتريد أن تحيد عن التراث ، أو كما جاء في العديد من نماذج الشعراء السابقين الذين يحتالون لرسائلهم وقصائدهم الثورية متخذين من أسلوب الترويح ما يضمن لهم استعدادا مريحا عند المتلقي العربي ، وريث النشأة التدوقية في الخطاب التقليدي ، وهذا يقع في صميم هذا البحث الموسوم بالفاعل النصي بين شعراء العصر الحديث . غير أنه لا ينبغي حصر هذا التفاعل في الصياغة الفنية ، أو في دوائر الشعراء المبدعين فقط ؛ ولكن مانرجوه لهذا التفاعل أيضا أن يكون بين المبدعين في دائرتهم النخبوية وبين جسم التلقي في الدائرة الكبرى في العالم العربي . أما نظرة الناقد العربي في منزع التجديد فلنا وقفه عند شوقي ضيف في كتابه ( الفن ومذاهبه ) حيث يقول : " ولم يوجد - يعني بين الشعراء - من تثقف ثقافة فلسفية عميقة يلائم بها بينها وبين التفكير الفني . ومن أجل هذا القصور في الثقافة كان الشاعر عندنا مرتبكا في سلوك طريق التجديد الذي يريده ، وكأنني به يظن التجديد شيئا يلقي في الطريق ، وليس دراسة عميقة ، ولا ثقافة واسعة ... والحق أن واجب شعراءنا أن يحتووا لأنفسهم

## التفاعل النصي في الشعر الحديث- دراسة وصفية تحليلية

ما خلفته أوروبا من كنوز فكرية وفنية . وليس عيبا أن يستمد شعر من شعر آخر ، فهذا الشعر الغربي نفسه نراه يستمد في أجياله الحديثة من جميع العناصر القديمة يونانية أو رومانية ، وشرقية أو عربية ، وكأنما الحضارة الغربية تأخذ بحظ من جميع العناصر السابقة " (14)

ولن نبرح نازك الملائكة في العراق حتى نأخذ نمذجة أخرى لبدر شاكر السياب ، الشاعر الذي ينازعها الريادة في شعر التفعيلة ( الشعر الحر) ولإن البحث غير معني كثير بالصياغات الفنية والأسلوبية بقدرما يرصد ملمح التفاعل النصي ، والشعور العاطفي المشترك في التعبير عن قضايا الأمة والمؤرقة منها تحديدا ؛ كقضية فلسطين ، أو مقاومة التخلف والجمود السياسي والاقتصادي والسعي الحثيث نحو الاستقلال والتحديث على غرار أوروبا فسنقرأ للسياب نموذجا لا يختلف عن سابقه ، في التبشير بانقشاع الذل ، وفكك القيد ، بعد أن تزلزل الشر عن سواعد المقاومين في كل ناحية وزاوية من العراق والعالم العربي . وبمناسبة ثورة 14 تموز في العراق سنة 1958 م جاشت قريحة ( بدر شاكر السياب ) \* وانفجرت عاطفته ؛ تحية للثورة ، وللعيش تحديدا، في إدانة للحاضر المكبل بقيود التخلف وظلم وجور السلطة الحاكمة التي تمارس - على الشعب - صنوفا شتى من القهر والعبودية ؛ بوحى من الإحتلال الأجنبي ؛ مبشرا بزوغ فجر الحرية والكرامة .

.....

\*بدر شاكر السياب ( 1926 - 1964 ) شاعر عراقي يعد واحدا من الشعراء المشهورين في الوطن العربي في القرن العشرين ، كما يعتبر أحد مؤسسي الشعر الحر في الأدب العربي ( ينظر موقع نت / ويكبيديا بشراك هذا سحاب الذلة انقشعا وانفك عن ساعدك القيد وانقطعا تزلزل الشر ما خلفت زاوية

د. سالم بن محاد بن علي المعشني

يندس فيها ولا أبقيت منتجعا (15)

حتي يصل في آخر هذه القصيدة يقول :

والجيش ماكان إلا سرقائه

هذا الذي حرر الأعناق إذ طلعا

عبد الكريم الذي أجرى بثورته

ماء ونورا كغيم ممطرلمعا

أسرى وبغداد تحت الليل غافية

في سجنها وسهيل بعد ما طلعا

فما تنفس أو كاد الصباح بها

إلا وقد حطم الأوثان واقتلعا

في ثورة عاد منها الشعب منتصرا

والحق مزدهرا والبغي منصرعا

حتي ازدهى كل شبر في العراق ففي

مينائه اليوم نور الفجر قد سطعا

ولا يخفى على كل ذي لب عاطفة السياب في هذه الأبيات واستشرافه

للمستقبل الذي يبشر به ، بعد انتصار الثورة العراقية على المحتل البريطاني

بقيادة عبد الكريم قاسم . أنها الحرية التي هي بمثابة الحياة ، إنها كالنور والهواء

والماء ! وقد وظف الشاعر أسلوب الشعراء القدماء كضرب من ضروب التفاعل

النصي من خلال تكثيف الموسيقى التصويرية على غرار أبي تمام والخنساء ، "

بهدف تكرار وحدة نغمية تصور حركة الشعور بكل وضوح ، دون أن تعتمد على

الضجة الرتيبة التي يحدثها التكرار اللفظي للمقاطع " (16)

في ثورة عاد منها الشعب منتصرا

والحق مزدهرا والبغي منصرعا

## التفاعل النصي في الشعر الحديث- دراسة وصفية تحليلية

إنها إذا الحرية " أيها الإنسان مارس حريتك فإنها هبة الخالق العظيمة ،  
مارسها في نفسك وجاها ربها في جماعتك ، وطبقها في بيتك وعملك وحياتك . فمن  
أجلها أصبحت أنت خليفة الله على الأرض " (17)  
ويتفاعل عبدالله البردوني\* مع هذا الخطاب وفي نصه ( حين يصحو الشعب )  
يقول :

سوف تدري دولة الظلم غدا  
حين يصحو الشعب من أقوى انتقاما ؟  
سوف تدري لمن النصر إذا  
أيقظ البعث العفاريت النياما  
إن خلف الليل فجرا نائما  
وغدا يصحو فيجتاح الظلاما  
وغدا تخضر أرضي ، وترى  
في مكان الشوك وردا وخزامى (18)

.....  
\*عبدالله البردوني (1929- 1999م) شاعر وناقد أدبي ، ومؤرخ ومدرس يمني ، غلب  
على قصائده الرومانسية القومية ، والميل السخرية ، والرثاء . وكان أسلوب ونمطية  
شعره تميل إلى الحدائثة رغم التزامه شكلا الأسلوب البيتي العمودي . وهو من أكبر  
شعراء العربية في العصر الحديث . ينظر موقع نت ، ويكيبيديا  
لا فرق بين البردوني في اليمن ، والسياب في العراق ؛ فكلاهما يبشر  
بانقشاع الظلام وبزوغ الفجر ، ولا تلمس ثمة فروق في التفاعل النصي ، والشعور  
القومي ، إلا في حدود أن كلا الشعارين يتحدث عن الهم الوطني الداخلي ، ولما  
يجري في بلديهما العراق واليمن . الفرق الوحيد أن السياب يمدح ويشيد بالثورة  
العراقية التي انتصرت على الأجنبي المحتل ، والبردوني يوجه هجاء مرا ومقدعا إلى  
(دولة الظلم ) ودولة الظلم هذه هي النظام الملكي الإمامي الحاكم لليمن قبل ثورة

د. سالم بن محاد بن علي المعشني

سبتمبر عام 1962 م . والبردوني شاعر عملاق ماهر وحاذق بالعربية وأساليها ، وله من روعة البيان ورقطة اللفظ ما يسحر به قلوب متلقيه . فبالرغم من فداحة المعنى ، وقساوة الهجاء ، إلا أنه يلطفه برقيق المبني ليجري صلصالا عذبا في أذن المتلقي ؛ من خلال تكثيف حروف اللين في الروي و القافية وغيرها ، وإشباع النغمة بالتنوين ( غدا / حين / أقوى / انتقاما / النياما / نائما / ظلاما / ترى / وردا / خزامى ) . إنه يتوعد دولة الظلم بالزوال حين يصحو الشعب ، والفعل المضارع (يصحو) يفضي إلى المقابل السلبي (ينام) ويدل على الحاضر التعيس ، ثم تتوالى المفارقات الضدية بين ( الظلام والفجر / الصحو والنوم / الشوك والورد ) والفجر النائم فيه ما فيه من العتاب المبطن للشعب ؛ وهذا الشعب النائم في وجه الظلم المحيط به لا سبيل إلى إيقاظه إلا من خلال ( العفاريث النيام ) هنا تنفج العقدة ؛ وتزول الكربة ؛ إذ في لفظة ( العفاريث ) الفعل النهائي ، والبعد الماورائي الذي لاحيلة للإنسان الضعيف مواجهته ؛ لأنه فعل خارق . وهذا العنف الذي يستله الشاعر من العفاريث ينم عن خيبة الرجاء في التغيير ، ولكنه على كل حال وعيد قوي قاسم لظهر الجبروت . وفي بداية القصيدة نجد الشاعر قد أنحى بكل اللائمة على الشعب ؛ لأنه هو الذي دلل الظالم و صفق له ، ورضي بالمدلة والهوان . لقد قدم دمه ، وقتل الأبرياء من أجل تثبيت نظام الحكم .

لاتلم دولتنا إن أشبعت

شره المخمور من جوع اليتامى

نحن نسقمها دمانا خمرة

ونغنيها فتزداد أواما

ونبي مستبدا زاده

جثث القتلى وأكباد الأيامى

نأكل الجوع ونستسقي الظما

وننادي يحفظ الله الإماما

وعلى ما يبدو " أن الشاعر العربي لم يعد كالعصور السابقة ؛ صديق السلطة السياسية ، ولم يعد في هذا الانفتاح الفكري الكبير بوقا للحاكم . فطبيعة العصر وانفتاح العالم بعضه على بعض ، ووجود الأنظمة العالمية السياسية الديمقراطية التي استقبلت الشعراء وقدمت لهم منبرا سياسيا يعبرون من خلاله عن أفكارهم وقضاياهم " (19)  
علي أحمد سعيد المعروف بأدونيس \*

.....  
\* (1930) شاعر سوري ابتكر أسلوبه الخاص في الشعر الذي أثار جدلا كبيرا بما حمله من إبداع وبلاغة ، حملت قصائده الكثير من المشاعر ، والحب . تفوق على الأساليب التقليدية دون الابتعاد عن اللغة العربية الفصحى . يترك شعره في ذهن القارئ الكثير من الأسئلة ، ويعتبر رائد مدرسة الحداثة الشعرية في قصيدة النثر وقبلها التفعيلة .

( ينظر موقع نت/ ويكبيديا )

يقول أدونيس في قصيدة رؤيا :

هربت مدينتنا

فركضت أستجلي مسالكها

ونظرت . لم ألمح سوى الأفق

ورأيت أن الهارين غدا

والعائدين غدا

جسدا أمزقه على وريقي

ورأيت - كأن الغيم حنجرة

والماء جدراننا من اللهب

ورأيت خيطا أصفرا دبقا

د. سالم بن محاد بن علي المعشني

خيطا من التاريخ يعلق بي

تجتر أيامي وتعقدتها

وتكرها فيه - يد ورثت

جنس الدمى وسلالة الخرق(20)

هنا نجد الشاعر أدونيس يدعو إلى الانعتاق من ربة الماضي ، بعد أن علق به خيطا من التاريخ الأصفر ، ويدين الماضي ويثور على رتبة الحاضر ؛ على اعتبار أن الذين ينشدون التغيير والتحديث في العالم العربي ما لبثوا يجتروا الماضي ويعلونه فحسب ؛ حالهم في ذلك كحال الحيوانات التي تجتر علفها ، وليس هناك سوى الأمية والخرق . وإذا كان أدونيس قد شذ في خطابه هذا عن بقية زملائه فقد نجد له مبررا ؛ فالرجل أكثر اندغاما في الحداثة الشعرية وواحد من رواد تيار قصيدة النثر . وهذا التيار لا يقيم وزنا - على مستوى الصياغة الفنية - للقصيدة التراثية البيئية ، ناهيك عن تماهيه - على المستوى الفكري - في الحداثة الغربية . لكن أدونيس في نموذج التزم نظام القصيدة العمودية ، وهذه الظاهرة نلاحظها لدى معظم شعراء العصر الحديث خاصة أثناء تناولهم للقضايا الوطنية ، وقد تم ذكر السبب الداعي إلى ذلك والمتمثل في احترامهم الذائقة العربية في جسم التلقي العريض على امتداد العالم العربي ، هذا المتلقي الذي يتفاعل مع الخطاب التقليدي ، أو القصيدة العمودية تحديدا . وفي حديث أدونيس عن الحداثة يراها " إنما تعني الخروج عن السائد والتقليدي ، والقول بما لم يكن معروفاً على أن يكون هذا الخروج وهذا القول عملية مستمرة لا تنتهي" (21)

ولأدونيس حكمه النقدي في مسألة الشعر العربي عامة حيث يقول : " تكمن المشكلة الأساسية - بحسب أدونيس - في الشعر في استمرار النظرة النقدية المؤسسة على خصائص الشعرية الشفوية في تناول الشعر الذي نتج في العصر

## التفاعل النصي في الشعر الحديث- دراسة وصفية تحليلية

الحديث. وقد صاحب هذا التطبيق نظرة أيديولوجية تعمل على التوكيد على أن للشعر العربي من خصوصية بيانية وموسيقية ما يميزه عن الأمم الأخرى. وهو يرى أن حل هذه المشكلة يكمن في أن نقرأ ماضي الشعر – ليس كما رآه السابقون- وإنما لنرى ما غاب عنهم، أي نقرأ الفراغ والنقص الذي تركوه. إذ إن اللغة الشعرية – بما هي الإنسان في تفجره واندفاعه – تظل في تجدد وتوهج وتغيير، فهي بحثٌ عن الذات، وعودةٌ إليه؛ لكن عبر هجرة دائمة خارج الذات " (22)  
(1941-2008)\* محمود درويش

\* واحد من الذين ارتبط اسمهم بشعر الثورة، وهو شاعر الوطن. يعتبر درويش أحد أبرز من ساهم بتطوير الشعر العربي الحديث وإدخال الرمزية في شعر الحب بالوطن وبالحببية الأثني . قام بكتابة وثيقة استقلال فلسطين في الجزائر. ينظر موقع نت/ وكبيديا

يقول درويش من قصيدة ( نشيد للرجال )

سنصنع من مشانقنا / ومن صلبان حاضرننا وماضينا / سلالم للغد الموعود / ثم نصيحُ: يا رضوان / افتح بابك الموصود / سنطلق من حناجرنا / ومن شكوى مراثينا / قصائد.. كالنبيد الحلو / تكررُ في ملاحينا / وتندُدُ في الشوارع / في المصانع / في المحاجر / في المزارع / في نوادينا (23)

لا تزال فلسطين موطن الشاعر تزرع تحت الاحتلال الصهيوني ، وهي بلاشك الشغل الشاغل لجميع شعراء الوطن العربي ، وقد مر بنا في النماذج السابقة تفاعل الشعراء مع هذه القضية المركزية ؛ وكيف أنهم يجتمعون ، أو ينتظمون في خط واحد من خلال قصائدهم في إدانة إسرائيل ، والأنظمة الاستبدادية وتخاذل العرب في نجدة أهل فلسطين . وفي النموذج السابق لدرويش تأسرنا لغة التحدي المؤطرة بألم المعاناة ، والجراحات الغائرة من خلال تصوير مرعب لمعاناة أهل فلسطين ؛ ولا يمكن فهم المسحة التفاضلية التي يحاول

د. سالم بن محاد بن علي المعشني

الشاعر أن يقنع بها متلقية إلا ضمن إبطار المقاومة والتحدي . فهناك المشانق التي تنصب للمجاهدين ، وهناك مراثي الأحزان والألام التي لا تنتهي ؛ غير أن الشاعر يتحدى الموت في قوله : ثم نصيح : يارضوان / افتح بابك الموصود ! لمن ولماذا ؟ ليطلق قصائد الصمود والتحدي من الجناجر ؛ فقد صنع الشاعر من المشانق والصلبان ومن الحاضر والماضي سلاما للغد الموعد . يعتمد درويش في صياغته الفنية لمعظم قصائده على استراتيجية التكرار لما لها من أهمية كملح أسوبي مهم في اثراء الدلالة واستمالة المتلقي من خلال التكتيف الموسيقي وتوظيف البديع حيث " يرتبط البديع اللفظي بموسيقى الكلمات من خلال ترديد الأصوات التي تجذب المتلقي لاستكناه دلالتها، ومدى إسهامها في إبداعية النص وإثراء التجربة، فالشاعر موجه بإيقاع مسيطر يطلب تشكيله، وعليه إخضاع الكلمات لمطالب هذا التشكيل، الذي يستدعي الكلمات ويكسبها قيمتها في أنظمة لغوية تحقق بنية القصيدة ودلالاتها الرمزية " (24)

لقد أثت محمود درويش بساط " الغد المأمول " على أريكة خضراء ناعمة ، من خلال قصائد كالنبذ الحلو ، تكرع في ملاهي أهل فلسطين ؛ وليس أدهى من تخفيف الألم والمعاناة من هذه اللغة التي تعكس حال السواد الروحي وخيبة الأمل لدى الشاعر وأهله في فلسطين من خلال هذه التقنية الفنية المقلوبة أو المعكوسة !

قصائد. كالنبذ الحلو

تكرع في ملاهينا

وتنشد في الشوارع

في المصانع

في المحاجر

في المزارع

في نوادينا!

إن الشاعر " يعول على الكلمة بمالها من قدرة خفية على التسلل إلى الأعماق في نشر الوعي، وبعث الهمم، ليتردد صداها في كل مكان، فالشعر هو الزاد في رحلة المصير" (25)

وهي في ذات الوقت " متواليات صوتية أو تراكمات موسيقية للتعبير عن الحالة النفسية التي يعيشها إذ يشكل تكرار حرف الجر (في) مدأً تراكمياً من المجرورات التي تحيل إلى توسيع حيز المكان، باعتباره باحثاً عن مواضع ينشر فيها أشعاره، ويتردد فيها صدى صوته" (26)

وفي قصيدة " صيحة عربية " تقول : سعاد محمد صباح المحمد الصباح 1942 \*

.....  
\* شاعرة وكاتبة وناقدة كويتية حاصلة على

درجة الدكتوراه في الاقتصاد والعلوم السياسية، وهي المؤسسة «لدار سعاد الصباح للنشر والتوزيع» عام 1985. تجيد

اللغتين الإنجليزية والفرنسية بالإضافة للغتها العربية الأم. تم تكريمها في العديد من الدول لإصداراتها الشعرية وإنجازاتها الأدبية ومقالاتها الاقتصادية والسياسية.

أَجَّجُوا الحَقْدَ أَيَّهَا الأشْقِيَاءُ

لم تَمُتْ في عروقنا الكبرياءُ

من حَنَابَا عُرُوبَتِي رَضَعَ المَجْدُ

وكان الغُلا، وهانَ الفداءُ

أنا أَمِّي الغُرَاءُ فاطمَةُ الزهراءُ

وأُخْتِي العَظِيمَةُ الخنساءُ..

د. سالم بن محاد بن علي المعشني

وأبي يعربُ الذي باركَ الأرضَ  
وقامتْ في أرضه الأنبياءُ..  
وأخي قاهرُ الغزاة الصليبيينَ  
يا ليتَ تنطقُ الأشلاءُ..  
ودياري مبرورةٌ بالضحايا  
ولداتي الأبطالُ والشهداءُ  
هؤلاء الكرامُ قومي، فقولوا  
مَنْ همُ قومُكم؟ ومِنَ أينَ جاؤوا؟  
مَنْ أبوكم؟ مَنْ أمُّكم؟ مَنْ ذووكم؟  
أينَ تاريخُكم وأينَ البناءُ؟  
خيرُ أسلافِكم ذرته السَّوافي  
وطوته في تيمها سينا  
هكذا أدبروا فلم يبقَ منهم  
بعدَ موسى.. فكلُّكم لقطاعٍ (27)

لقد حشدت سعاد الصباح في هذه القصيدة مجموعة كبيرة من الرموز التراثية ، إن على مستوى العنصر الإنساني ، أو الرموز المكانية لترينا اليون الشاسع في وجه المفاضلة بين بني جنسها ( العرب ) وبين ( اليهود ) لاسيما الصهاينة . ومن خلال تقنية الإستفهام تكيل هجاء مرا إلى اليهود وتنال حتى من أنسابهم وأصولهم ، فإذا كانت تزهو بانتمائها إلى فاطمة الزهراء والخنساء ويعرب وموطن الأبطال ، والأنبياء ، فبالمقابل تسخر من الأعداء مستفهمة ومستهجنة أنسابهم :

مَنْ همُ قومُكم؟ ومِنَ أينَ جاؤوا؟  
مَنْ أبوكم؟ مَنْ أمُّكم؟ مَنْ ذووكم؟

## التفاعل النصي في الشعر الحديث- دراسة وصفية تحليلية

أين تاريخكم وأين البناء؟

خيرُ أسلافكم ذرته السّوافي

وطوّته في تيمها سيناءُ

هكذا أدبروا فلم يبقَ منهم

بعدَ موسى.. فكلُّكم لُقطاءُ

إنها المفارقة بين نقيضين لا يجتمعان ؛ بين قومها العرب العنصر الصافي

الخالص من كل عيب ، وبين الأعداء الذين لا يُعرف لهم أصل :

خيرُ أسلافكم ذرته السّوافي

وطوّته في تيمها سيناءُ

هكذا أدبروا فلم يبقَ منهم

بعدَ موسى.. فكلُّكم لُقطاءُ

إن النظر في هذين النقيضين والصراع الوجودي بينهما " بحاجة إلى تعمق

في العقل وفي الإحساس. ومن أبسط درجات العمق اجتماعهما للكشف عن

حقيقة أدركها الشاعر بعقله وقلبه معا وهي سعي أحد النقيضين لمحو نقيضه أو

قتله " (28)

الخاتمة :

لقد تفاعل شعراء العصر الحديث في قصائدهم مع قضاياهم الوطنية

والقومية، واجتمعوا على كلمة سواء في إدانة الظلم، والدفاع عن الوطن

والإنسان رافعين شعار المقاومة؛ مقاومة الجهل والتخلف والاستبداد في الداخل

العربي ، وبالمقابل الدعوة إلى مقاومة الاحتلال الخارجي ، وخاصة اليهود . ورأينا في

معظم هذه النصوص حفاظ غالبية الشعراء على نظام القصيدة العمودية :

وكان المبرر لذلك مراعاة منهم للمتلقي العربي على امتداد الوطن العربي الكبير

الذي يتفاعل ومهتز لرنين الشعر المقفى .

المراجع :

1. راجح بن خوية ، التفاعل النصي آلية انفتاح وإنتاج الدلالة ، مقارنة تناصية للمعارضة ، يناير 2015
2. ديوان الجواهري الأعمال الكاملة 1- 7 الدار اللبنانية للطباعة والنشر ، بيروت لبنان 2014: ص 61
3. يوسف عليمات ، النقد النسقي ، تمثيلات النسق في الشعر الجاهلي ، ط 1 ، الأهلية للنشر والتوزيع ، 2015، ص: 81
4. المصدر السابق ونفس الصفحة
5. موقع كراسة :ينظر <https://korrseh.co5>
6. علي عزيز صالح ، شعرية النص عند الجواهري ، الإيقاع والمضمون واللغة ، دار الكتب العلمية ، ص : 235
7. ديوان عمر أبوريثشة ، دار العودة ، طبعة 81، ص : 12- 13
8. إحسان عباس ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، ط 3 ، دار الشروق ، عمان 2001م ، ص : 109-110
9. حمد الله المناصير ، تجليات الثورة في الشعر المعاصر ، مرجع سابق ، نفس الصفحة .
10. ينظر إحسان عباس ، اتجاهات الشعر العربي المعاصر ، مرجع سابق ، ص 108 :
11. عامر حامد الربيعي ، الهوية الثقافية لمسرح ما بعد الكولونيالية ، ط 1 ، دار الأيام ، عمان 2015 ، ص : 56
12. ديوان، نازك الملائكة، ج 2 ، دار العودة بيروت ، ص 521
13. ديوان، نازك الملائكة، مرجع سابق ج 2، ص 98

14. شوقي ضيف ، الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، دار المعارف ، ط10 ، 1960 م ، ص : 518
15. ديوان بدر شاكر السياب ، م2، دار العودة – بيروت 1974م ص، 561
16. قصي الحسين ، أنثروبولوجية الأدب ، دراسة الآثار الأدبية على ضوء علم الإنسان ، دار مكتبة الهلال ، بيروت ، ط1 ، 2009 ، ص : 358.
17. أبوبكر أبوسويط ، خلف الصورة ، تأملات في الفلسفة والدين ، دار الموج الأخضر للنشر ، ط1 ، 2022 ، ص : 77
18. ديوان عبدالله البردوني ، دار العودة ، بيروت ، م1 ص : 396-397
19. حمد الله المناصير ، مرجع سابق ، الرأي الثقافي 27. 1. 2012 .  
ينظر موقع نت ، ديفيووب يوليو 2022م20  
بتاريخ 24. 12.
22. ينظر ، <https://www.sasapost.com> › opinion › adonis ، 2017
- أدونيس، "الشعرية والشفوية الجاهلية"، في: الشعرية العربية، ط2، بيروت، دار الآداب، 1989
23. ديوان محمود درويش ، عاشق من فلسطين ، دار العودة بيروت ، طبعة 1984م
24. د. جمال فودة ، التكرار والترابط النغمي ، قراءة في قصيدة " نشيد " لمحمود درويش ، موقع الكتابة ، 26 أكتوبر 2020
25. نفس المرجع السابق
26. نفسه .
27. ديوان سعاد الصباح ، أمنية ، ط4، الكويت ، 1989م

د. سالم بن محاد بن علي المعشني

28. عبد القادر الرباعي ، الصورة الفنية في شعر أبي تمام ، جامعة اليرموك –  
الأردن 1980م ص : 88